المؤتمر الدولي الثاني
لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

ذَمُّ الشِّعْرِ في صَدْرِ الإسْلَام

دراسة تحليليَّة في النصوص التشريعيَّة

إعــداد

د. محمد شمس كامل عُقاب
أستاذ الأدب العربي القديم المساعد
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

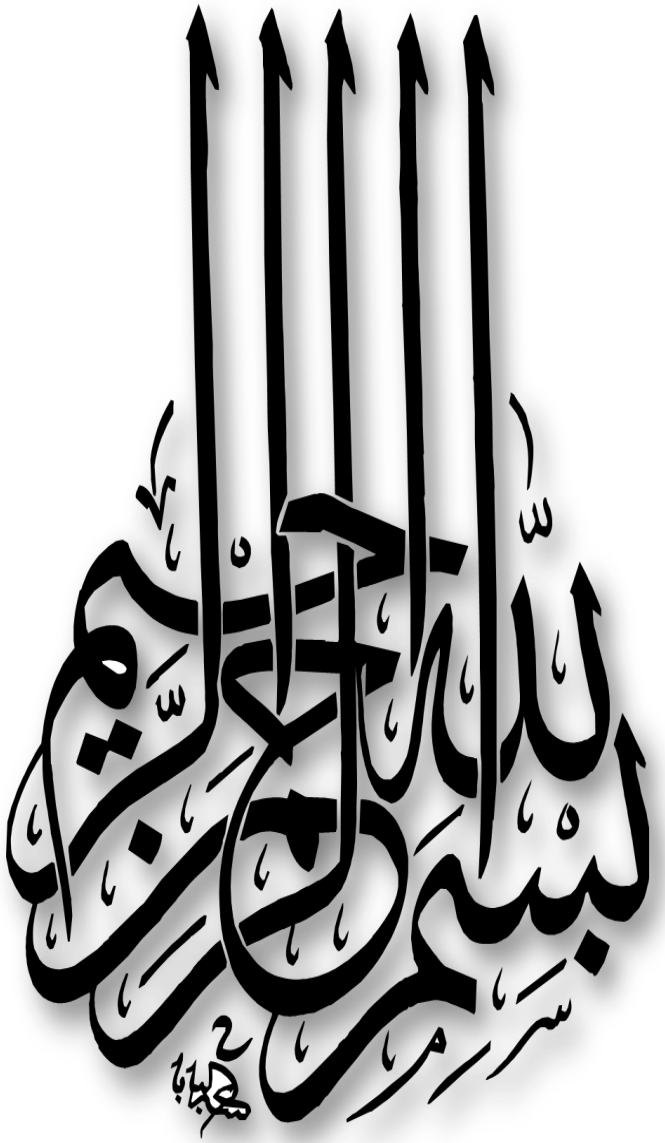
بسم الله الرحمن الرحيم

ذَمُّ الشِّعْرِ في صَدْرِ الإسْلام

دراسة تحليليَّة في النُّصُوص التَّشْريعيَّة

د. محمد شمس كامل عُقاب

أستاذ الأدب العربيّ القديم المساعد-قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة الإسكندريَّة – مصر

البريد الجامعي: mohamed.shams@alexu.edu.eg

ملخص البحث

خاض كثيرٌ من الباحثين في موقف الإسلام من الشعر، ولعل الأصل في هذه القضية تلك النصوص التي ظاهرها ذمُّ الشعراء والشعر أو التي يظهر فيها حطٌّ منه أو نهي عنه. والمنهج العلمي الذي يتبعه البحث العودة إلى النصوص التشريعية الصحيحة في صدر الإسلام في مصدريها المحتجّ بهما: القرآن والسنة، ثم يتتبّع أقوال العلماء فيهما، ويناقشها ويحللها ليصل إلى نتيجة محكمة.

لقد تُدورست هذه القضية كثيرًا في الدراسات المعاصرة، وبدا من خلال تلك الدراسات شيءٌ من المغالاة عند بعض الدارسين، وقصورٌ في الاستقراء لدى آخرين، وخلطٌ للصحيح بالضعيف عند معظمهم، وهذه الأمور كلها تؤدي إلى نتائج غير صحيحة.

إنَّ السؤال المحوريَّ الذي يدور عليه هذا البحث هو: هناك نصوص تشريعيَّة إسلاميَّة في ظاهرها ذمٌّ للشعر؛ ما تلك النصوص؟ وما صحتها؟ وما حقيقة ذلك الذمّ؟ وكيف فسّر أهل الاختصاص من المتقدّمين تلك النصوص؟ وعليه: ما النتيجة التي نخرج بها بعد تحليل تلك النصوص ومناقشة الأوجه والأقوال فيها؟ وإذن: ما الموقف الحقيقي للإسلام من الشعر بناءً على تلك الدراسة؟

إنّ المنهج الذي اتخذه هذا البحث هو المنهج التوثيقيُّ التحليليُّ، مركّب من شقين: التوثيق بالاعتماد على النصوص الصحيحة فحسب واستبعاد النصوص الضعيفة والواهية، ثم تحليل تلك النصوص الصحيحة ومناقشتها من خلال كلام المختصين للوصول إلى نتيجة جامعة.

كلمات مفتاحية: ذم الشعر – ذم الشعر في صدر الإسلام – موقف الإسلام من الشعر – الإسلام والشعر – القرآن والشعر – الرسول والشعر.

The Censure of Poetry in Early Islam: An Analytical Study of Legislative Texts

Dr. Mohammad Shams Kamel Uqab
Assistant Professor of Ancient Arabic Literature
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Arts – Alexandria University – Egypt
University Email: mohamed.shams@alexu.edu.eg

Abstract

This study examines the Islamic stance toward poetry during the formative period of Islam, with a particular focus on legislative texts that appear to censure, disapprove of, or restrict poetry and poets. The research adopts a documentary-analytical methodology rooted in the two principal and authoritative sources of Islamic legislation: the Qur'an and the Sunnah. It rigorously analyzes these texts, evaluates their authenticity, and explores classical scholarly interpretations to reach a sound and comprehensive conclusion.

While contemporary studies have addressed this issue extensively, many suffer from methodological imbalances, including exaggeration, insufficient textual analysis, and the conflation of authentic with weak or fabricated reports, which have led to flawed outcomes. This study aims to rectify such issues by strictly adhering to verified texts and by critically engaging with the insights of early experts in the field.

The core question addressed is: What are the legislative texts in early Islam that seemingly censure poetry? What is their level of authenticity? What is the true nature of the censure they express? How did early scholars understand these texts? Ultimately, what is the actual position of Islam on poetry when these texts are analyzed with academic rigor?

By combining sound documentation with analytical interpretation, the study seeks to clarify a nuanced and historically grounded understanding of Islam's engagement with poetry.

Keywords: Censure of Poetry – Poetry in Early Islam – Islam's View on Poetry – Islam and Poetry – Qur'an and Poetry – The Prophet and Poetry.

مدخل:

خاض كثيرٌ من الباحثين في (موقف الإسلام من الشعر)، ما بين مُقلٍّ ومُكْثر، ومجيدٍ وغيرِ مجيد، ومستفيضٍ في الحديث مُطيلٍ، ومُقصِّرٍ مُعْجِل. والأصل في هذه القضية –في رأيي– هو تلك النصوص التي ظاهرها ذمُّ الشعر والشعراء، أو الإغضاء من شأنه، أو النهي عنه. والواجب أن نعود إلى الصحيح من تلك النصوص المشرِّعة في مصدريها المحتجّ بهما في صدر الإسلام: الكتاب والسنة، ونتتبع أقوال العلماء فيهما، وألّا نركن إلى مذهب الرأي كثيرًا؛ لا لعيب الرأي، ولكن لأن التعامل المنهجي لتلك النصوص له قواعده وأصوله المقررة، ولا يَحتملُ أن نخبط فيه خبط عشواء.

يبتغي هذا البحث أن يجمع تلك النصوص الذّامَّة (أو التي ظاهرها الذمّ)، ثم يجمع ما رُوي حولَها من الأخبار، وما فُسِّرتْ به من الأقوال؛ ثم يُناقش كلَّ ذلك، فيُفنِّدُ الصحيحَ من الضعيف، والثابتَ من الواهي، والذي يستحق أن يُحتجَّ به على أدب ذلك العصر من غيره. ثم يُناقش بمنهجٍ علميٍّ هذا الذي صحَّ وتبيَّنَ صدقُه على أدب ذلك العصر، بعد أن يستبعد الضعيفَ الذي ليس منه –مع أنَّ هذا الضعيف قد طالَ ذكرُه والاحتجاجُ به– ذلك أن البحث في هذا الضعيف الواهي مما يُفسد الأدب، ويُضيِّعُ الوقتَ، ويظلمُ كثيرًا من الناس، ويَحمل عليهم من أحكام الشعر والنثر ما ليس لهم، ولا يَحقُّ عليهم.

سُؤال البَحْث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن هذا السؤال: هناك نصوص تشريعية إسلامية في ظاهرها ذمٌّ للشعر؛ ما تلك النصوص؟ وما صحتها؟ وما حقيقة ذلك الذمّ؟ وكيف فسّر أهل الاختصاص من المتقدّمين تلك النصوص؟ وعليه: ما النتيجة التي نخرج بها بعد تحليل تلك النصوص ومناقشة الأوجه والأقوال فيها؟

وإذن: ما الموقف الحقيقي للإسلام من الشعر بناءً على تلك الدراسة؟

منهج البحث:

ذهب طائفةٌ من النقّاد والباحثين إلى أنَّ الإسلام حين جاء كان سببًا في ضعف الشعر، بإيعازٍ منه، أو وبمدافعةٍ لقوله، ووصمٍ للشعراء بما هو داخلٌ في باب الذمّ لهم، وبأنه أضعف الشعر حين صرفه إلى أبوابٍ جديدة حثّ عليها، هي في مجملها أبواب الدعوة إلى الله وأبواب الخير. فصار الشعر ضعيفًا ليّنًا ولم يعد قويًّا جزلًا كما كان، وصار شعراؤه بين عشيّةٍ وضحاها إمّا ضعفاء في القول قد نزلتْ مواهبهم، أو منصرفين عن قول الشعر زاهدين في ذلك بالكليَّة.

واحتجُّوا لذلك بحججٍ وأدلةٍ منها ما هو من صميم الحجج والبراهين، ومنها ما هو خارجٌ عن الموضوع. ولعلَّنا لم نجد من يبحث تلك القضيَّة من خلال نصي الإسلام وحدهما: القرآن والحديث، دون نظرٍ إلى الخارج أو تشويش قد يصدر من سواهما، والسبب في الدعوة إلى توجيه البحث تلك الوجهة هو أننا لكي نحكم على دعوى ما فإننا نعود إلى مصدرها لا إلى مصادر وسيطة، أو مصادر أخرى من الخارج. فمنهاج البحث أن يَقرأ النصوص التي ادّعيَ بها مذمّةُ الشعر، يَقرأ ذلك بلسان العلماء الأوّلين من المسلمين المختصّين بالاجتهاد والنظر، ويراجعَ تفسيرهم ونظرهم في تلك النصوص، ثم يحلل مجموع ذلك للوصول إلى خلاصّةٍ دالّة جامعة في القضيّة.

إن من الواجب لبحث قضية خطيرة كهذه أن نعود إلى النصوص الإسلامية الصحيحة، وأن نستبعد ما عدا ذلك مما لم يصح؛ وهذا من أصول البحث الجوهرية التي لم تراعها مجمل البحوث والمدوّنات التي وقفنا عليها في هذا الباب؛ إذ رأينا الخلط عظيمًا بين ما صح وما لم يصح، وهذا يُضعف الاستدلال من غير شك، ويقفنا على أحكام غير صحيحة، أو يشوبها الضعف في أجزاءٍ كبيرة من نتائجها، وهو ما يؤول بنا إلى قولٍ فضفاضٍ غير حاسم، أو قولٍ غير صادقٍ في القضيَّة، نجني به على الشعراء والشعر. إن بحث مثل هذه القضايا الأدبية لا يجوز لنا أخذه مأخذ الأحاديث والسمر، فنحشد له الأخبار والنوادر مما استوثق منه ومما لا يُعرف كُنْهُه أو أصله، فنعامله معاملة الصحيح؛ لا يستويان،

وتلك المسألة –أعني خلط هذا بذاك– مما ابتلينا به في بحوث الأدب؛ إلا من رحم.

إنّ المنهج الذي يتخذه هذا البحث هو المنهج التوثيقيُّ التحليليُّ، فهو مركّب من شقين: التوثيق بالاعتماد على النصوص الصحيحة فقط مما حكم بصحته المختصون، واستبعاد النصوص الضعيفة والواهية، ثم تحليل تلك النصوص الصحيحة وحدها ومناقشتها من خلال كلام المختصين للوصول إلى نتيجة جامعة.

الدراساتُ السَّابقة:

سبقتْ إلى تناول قضية الإسلام والشعر بعموم دراساتٌ وكتبٌ معروفة، ولكن أن يكون بحثٌ محوره دراسة النصوص الصحيحة فحسب المدّعى بها ذمُّ الشعراء والشعر، وتبيين الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة في ذلك، من خلال العودة إلى المصادر المعتمدة في معالجتها وتفسيرهما، مع بيان جذور القضية في التاريخ الأدبي وما خلَّفته في المعاصرين فهذا ما يُعدُّ جديدًا في هذا البحث، ومهمًّا حيث يظهرنا على التصور الصادق عند إجابة هذا السؤال.

وإذا بحثنا في تلك الدراسات عن هذا الجانب من اعتماد النصوص الموثوقة ودراستها، فلعلنا نذكر كتاب الدكتور سامي مكي العاني (الإسلام والشعر) مثالًا على ذلك. فقد جعل المؤلف الفصل الثالث من الكتاب بعنوان: (القرآن والشعر)[١]؛ ملمعًا فيه باقتضابٍ إلى الآيات القرآنية التي ذكرتْ الشعر، دون أن يقف عليها وقفةً مفصَّلة، معتمدًا في تفسيرها على بعض كتب التفسير المتأخّرة؛ وهذا ما لا يقصد إليه هذا البحث، على العكس قد قصد إلى نقيضه، وذلك بالعودة إلى التفاسير الأولى، والكتب التي هي أُمَّات المصادر عند المسلمين.

---

(١) انظر: الإسلام والشعر، للدكتور سامي مكي العاني، ص٣٣ وما بعدها، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م.

وفي الفصل الرابع من الكتاب: (الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر)[١]؛ نرى المؤلفَ يحشد طائفةً من الروايات والأخبار على طريقة مجمل الكتب التي تؤرّخ للأدب، خالطًا فيها الصحيح بغير الصحيح[٢]، معتمدًا في تفسيرها والتعليق عليها على غير كتب شروح الحديث والأخبار العمدة في هذا المجال، وهذا ظاهرٌ بمراجعة مصادر الفصل ومراجعه مما لا نريد به إثقال البحث. تلك الطريقة كما أشرنا مما لا يقصد إليه بحثنا هذا ولا يريد أن يتخذه، بل إنه يصبو إلى أن يكون محدّدًا في تفسير كلام النبي صلى الله عليه وسلم من كتب المحدِّثين وشُرَّاح الحديث من أهل الاختصاص.

وهنالك بحوث غير أدبيَّة تناولت المسألة، ولا سيَّما في اختصاص الحديث الشريف، نضرب مثلًا لها ببحث الدكتور عبد الرحمن رمضان الأزهري بعنوان: (بيان موقف السنة الغرّاء من الشعر والشعراء)[٣]، وهو بحثٌ حديثيّ

---

(١) انظر: الإسلام والشعر، ص٤١ وما بعدها.

(٢) الأمثلة على ذلك كثيرة ليس هذا موضع تفنيدها، منها مثلًا هذا الحديث: "ما وُصف لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلا عنترة". فهو منكر؛ أخرجه أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني، ١٤٤/٧، بتصحيح الشنقيطي) عن عُمر بن شبّة: حدثنا ابن عائشة قال: أُنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول عنترة:

ولَقَد أبِيتُ على الطَّوى فأظَلُّهُ ∴ حَتَّى أنالَ به كريمَ المأْكَلِ

فقال صلى الله عليه وسلم... فذكره. وهذا إسناد ضعيف معضل، فإن به ابن عائشة من شيوخ أحمد وأبي داود وهذه الطبقة، فبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز، واسمه: عبيد الله بن محمد بن حفص.. القرشي التيمي، يعرف بـ (العيشي) وبـ (العائشي) وبـ (ابن عائشة، لأنه ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وهو راوي قصة "طلع البدر علينا ". (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ٢٧/١٤، مكتبة المعارف، الرياض ط١/١٤١٢-١٤٢٥هـ.).

(٣) بيان موقف السنة الغرّاء من الشعر والشعراء، للدكتور عبد الرحمن رمضان الأزهري، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ٤٠، السنة ٢٠٢١، ص١٣٥١ وما بعدها.

مهمٌّ عالج فيه صاحبه الأحاديث الواردة في أمر الشعر مدحًا وذمًّا، مع بيان درجتها الحديثية، وسوف نفيد منه في مواضعه من هذا البحث.

نماذجُ على الدَّعْوى:

كثرت الأقوال على مرّ التاريخ الإسلامي في قضيّة الإسلام والشعر، وهي أقوالٌ في معظمها يأخذ بعضها من بعض، وربما أخذ بعض المتأخرين قولًا لمتقدّمٍ فبنى عليه وزاد فيه. وما يعنينا من ذلك تلك الأقوال التي ادّعت مذمّة الإسلام للشعر والشعراء ما أدّى إلى ضعف قول الشعر أو منعه أو خفوته.

سوف نعرض لنماذج من ذلك غير متّبعين الترتيب الزمني، بل سنأخذ من كلام المعاصرين أوّلًا لاعتمادهم في الجملة على أقوالٍ لمن تقدّم.

يغلو بعض الباحثين المعاصرين فيزعم أن الإسلام ناءى الشعر، ونظر إليه نظر الكاره، وأنه لم يشجّع الشعر والشعراء؛ فكان ذلك سببًا لضعف الشعر وركود مائه.

فقد تطرَّف محمد عبد العزيز الكفراوي في رأيه حين كتب: "لم تكن العداوةُ بين الدعوة الإسلامية والشعر سرًّا خافيًا"(١)، هكذا رأى! ثم قال: "ولم يتخلف القرآن عن تلك الحرب فهاجم الشعراء في أكثر من موضع"(٢). ورأى في ظاهر آية (الشعراء) أن الشعر "بجميع أنواعه وألوانه غير مرغوب فيه إلا إذا جرى في ركاب الدعوة الجديدة، وقد تقيَّد الصحابةُ بذلك حرفيًّا، فأقسم لبيدٌ ألّا يقول شعرًا، ووقف الباقون مواهبهم على خدمة الدعوة برد هجمات قريش؛ حتى إذا وضعتْ الحرب الأدبية بين قريش والرسول أوزارها لاذوا بالصمت؛ وهكذا خمدتْ أنفاس الشعر في مكة والمدينة، واضطربت قوائم عرشه في باقي الجزيرة العربية"(٣).

---

(١) الشعر العربي بين الجمود والتطور، لمحمد عبد العزيز الكفراوي، ص٤٢، نهضة مصر، القاهرة، د. ت).

(٢) الشعر العربي بين الجمود والتطور، ص٤٢.

(٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور، ص٤٢-٤٣.

وهذا تطرُّفٌ في القول أن يرى راءٍ أن الإسلام قد عادى الشعر حتى أخمد أنفاسه وقتله! وإنما سبب هذا الرأي وأمثاله –في ظنّنا– العجلة وقلة استقراء الشعر في ذلك العصر، ذلك أنَّ استقراء الشعر وجمعه من مصادره الأدبيَّة وغير الأدبيَّة يُثبت رواج الشعر وشيوعه وكثرته، وحتى تلك الأشعار في مرادّة المشركين ومجابهتهم إنما هي أشعار أملتْها الحاجة الأدبية والنفسية لدى الشعراء، وهي أشعارٌ إنما انتعشتْ في نحو عشر سنين من الزمن، هي وقت جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته، بل إنَّ لها أثرًا عظيمًا ويدًا حسنةً على الشعر العربيّ.

وعلى قريبٍ من هذا النحو، يذهب الدكتور زكي مبارك إلى وجود حملةٍ وُجّهت إلى الشعر أدّت إلى بُغض الشعر في نفوس المسلمين، فترفّعوا أن ينسبوا علماءهم وفقهاءهم إليه، وهو يرى أنَّ الحملة التي وُجّهت إلى الشعر على أثر ما كان من لدد شعراء اليهود وتوثب شعراء المشركين؛ أثّرت تأثيرًا عميقًا في حياة المسلمين من الوجهة الأدبية، فرأيناهم –كما يقول: "يُسرفون في بُغْض الشعر والنيل من الشعراء، ثم جرى على ألسِنة الجماهير أن الشعر لا يليق بالفقهاء والمحدِّثين. وهذا كله من أثر الحملة التي وجهت إلى الشعر والشعراء"(١).

ونَعْجَل هنا تعقيبًا على هذا الرأي فنقول: إنَّ هذا القول من الدكتور زكي مبارك من الإسراف في القول على طريقة الأدباء الذين تأخذهم الحميَّة الأدبية حين يكتبون، فيطلقون الأحكام العريضة من غير حُجّةٍ بيّنة يمكن أن تراها فيما يُصدرون، بل الداعي إلى ذلك تلك العارضةُ الشديدة التي تدفعهم دفعًا إلى تصوُّر الأمور، وتَخيُّلِ أشياء هي من غير مباحثهم من غير شك، بل تقتضي بحثًا تاريخيًّا يفحص الواقع، أو نظرًا فقهيًّا له القواعد في معالجة النصّ.

---

(١) الموازنة بين الشعراء، للدكتور زكي مبارك، ص٣٤ (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م).

ويتخفَّف الأستاذ أحمد حسن الزيات فلا يذكر ذمًّا صريحًا من الإسلام للشعر، بل يرى الدين الجديد بعمومه صارفًا للعرب عن قول الشعر، والدين إنما هو نصوصٌ وأفعالٌ مأثورةٌ في شأن الشعر، صرفتْ الناس عنه إلى أشياء أخرى مأمورٍ بها كحفظ القرآن ورواية حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: "فليس من شك في أن الشعر ظلَّ على عهد الرسول جاهليًّا، وخضعت قريش وسائر العرب للدين الجديد بعد لَأْيٍ، فخرست الألسنة اللاذعة وفرّ الشعر الجاهلي ثانية إلى البادية، وانصرف المسلمون إلى حفظ القرآن ورواية الحديث وجهاد الشرك؛ فخفَتَ صوتُ الشعر لقلة الدواعي إليه"(١).

وثَمَّ آراء كثيرة تنحو نحو ذلك من الرأي أو قريبًا منه. وإنَّ سواد هذه الأقوال والذي فتح لها باب القول نصوصٌ قديمة مأثورةٌ عن علماء ونقّادٍ سابقين كالأصمعيّ وابن سلّام وابن خلدون؛ ليس هذا مجال التفصيل فيها، ولكننا نشير إليها إشارةً مقتضبة في مجال نماذج عرض الدعوى.

نبدأ برأي الزيات الأخير الذي نقلناه قبل بضعة أسطر، فإنه قد أفاده من كلام ابن خلدون –فيما يظهر لنا– وهو يقارن بين ازدهار الشعر في الجاهلية وفتوره في صدر الإسلام إذ يقول ابن خلدون: " ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه؛ فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانًا، ثم استقر ذلك، وأُونس الرشد من الملة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره، وسمعه النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأثاب عليه فرجعوا حينئذٍ إلى ديدنهم منه"(٢).

ولا شك أن في كلام ابن خلدون نظرًا؛ إذ لم ينشغل المسلمون عن قول الشعر قط، ولم تخرس ألسنتهم عن قوله لا في أول الإسلام ولا بعده، فالشعر

---

(١) تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، ص٩٧ (دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م).

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ص ٦٧٧ (تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٠م).

يكون حيث يكون الشعراء، ولذا نشط مجال الشعر بعد الهجرة إلى المدينة حيث أسلم الشعراء الفحول المجيدون: حسان وكعب وغيرهما من محسني قول الشعر من الأنصار وغيرهم من العرب. تنطق بذلك النصوص الضخمة المنقولة عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا سيَّما في الدواوين والمجاميع المحقَّة التي تخرجها لنا الأبحاث يومًا بعد يوم؛ وإنما ساق ابن خلدون ما ساق على سبيل القصة التي تطبع عقل المؤرّخ، من ضرورة وجود بدايةٍ لها ونهاية في نحو هذا القالَب الذي حكى به قوله.

ولقد دندنَ جُرجي زيدان حول هذا المعنى فرأى أنه لما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب، وذهبتْ العصبية الجاهلية؛ لم تبقَ حاجةٌ إلى الشعر والشعراء، ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الإسلام، وبالأسفار، وقد أدهشتْهم أساليب القرآن، وأخذتْهم النبوة، وانصرفتْ قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لفرط حاجتهم إليها(١).

وهذا خلطٌ للأمور، نعم قد ازدهرتْ الخطابة في هذا العصر ازدهارًا رائعًا، ولكنَّ الشعر لم يذبل أو يذوي أو يمتْ في ذلك العصر، كلا، بل ظلَّ مزدهرًا وظلَّ الشعراء يقولون في الأغراض القديمة، وظهرتْ لهم أغراضٌ إسلاميةٌ جديدةٌ قالوا فيها كذلك.

ومؤدَّى الأمر أنَّ الشعر في صدر الإسلام ظلَّ وفيًّا للأغراض القديمة مثل الهجاء والمدح والغزل والوصف والرثاء كما كان في الجاهلية؛ على تفاوتٍ في مقدار الشعر فيهما، على أنه انبرى للأغراض الإسلامية الجديدة يُنشد فيها، كالحثّ على الجهاد، ومنافحة المشركين، والذبِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدحه، ورثائه، ورثاء شهداء المسلمين رضي الله عنهم في الجهاد

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، ٢٢٥/١ (مؤسسة هنداوي للثقافة والنشر، القاهرة ٢٠٢١م).

وحروب الردة والفتوح بعد ذلك. ولعلَّ قُرب الشعراء أو بعدهم عن المدينة[١]، وقُربِهم أو بُعْدهم عن نفحات الإيمان فيها؛ كان سببًا لبقاء أنفاسٍ عتيقةٍ من الجاهلية، أو سببًا لأن تحل في نفوس أولئك الشعراء أنفاسٌ رطبةٌ جديدةٌ تزيدهم في الشعر قوةً إلى قوتهم، وتدفعُ بهم إلى تجديدٍ لم يكونوا يعرفونه من قبل. فمنهم من تشرَّب نسائمَ العهد الجديد وتمثَّل روحَ الإسلام تمثُّلًا كبيرًا، كالشعراء الثلاثة: حسّان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. ومنهم من وجدنا عنده مسحاتٍ إسلامية كالنابغة الجعدي، وكعب بن زُهير، وعمرو بن سالم. ومنهم من كأنه لم يبرح عهدَ الجاهلية لجفائه وبُدوُّه وبُعده الشديد عن المدينة، وعن الروح الغَضَّة فيها، كالحُطيئة ونحوه، وإن كان هناك من الباحثين -كالدكتور شوقي ضيف[٢]- مَنْ يُنصفه فلا يراه بهذا السوء الذي وُصف به.

وأهم من قول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) -الذي لا يُعدُّ في المتقدّمين- نصَّان ذائعان في هذه القضيَّة عن الأصمعيّ (ت ٢١٦ هـ) ومحمد بن سلّام (ت ٢٣١هـ).

ونحن نزعم أنَّ قول الأصمعي الذي حكم به مستدلًّا بشعر حسان بن ثابت كان من أبرز الأقوال التي فتحت الباب واسعًا لمن أتى بعده ليخوضوا في هذه القضية، أعني: دعوى إضعاف الإسلام للشعر، وهو قولٌ مشهورٌ هذا نصُّه: "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان؛ ألا ترى أن حسان بن ثابت كان

(١) يرى الدكتور صلاح الدين الهادي إلى أنه لكي يتسنى لنا أن نُصدر أحكامًا صائبةً -أو قريبةً من الصواب- على حال الشعر في صدر الإسلام، ينبغي أن ننظر إليه في مختلف بيئاته الزمانية والمكانية، التي تتفاوت فيها تلك البيئات بين القوة والضعف، نظرًا للظروف التي أحاطت به في كل منها؛ فيجب أن نفرق بين حياة الشعر في عهد النبوة، وحياته في عهد الراشدين، وفي حواضر الجزيرة وبواديها، وندرس شعر كل بيئة زمانية أو مكانية على حدة، ثم نحكم بمدى ازدهار الشعر أو ضعفه في كلٍّ منها". (انظر: الأدب في عصر النبوة والراشدين، للدكتور صلاح الدين الهادي، ص١٦٩-١٧٠، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣/١٤٠٧هـ).

(٢) انظر: العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، ص٩٠ (دار المعارف، القاهرة، ط٧).

فحلًا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعرُه في باب الخير من مراثي النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم؛ لانَ شعرُه. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة؛ من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفةِ الحُمر والخيل والحروب والافتخار؛ فإذا أدخلتَه في باب الخير لان"(١).

ووجه الاستدلال على إضعاف الإسلام للشعر -في رأي الأصمعي- هو حثُّه على قول الشعر في أبوابٍ من الخير كمراثي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذمّه للأبواب الأخرى التي يفتنُّ فيها الشعراء، وهو يستدل في ذلك بشعر حسّان بن ثابتٍ الذي كان قويًّا فحلًا؛ فلما أتاه نهي الإسلام عن أبواب كثيرةٍ صارت مغلقةً أمامه؛ ركَّ شعرُه ولان؛ حيث لم يجد مجالًا للقول إلا مجالًا ضيّقًا في أبواب الخير مما لا يجد فيه الشعراء راحتهم فتنطلق ألسنتُهم وأخيلتُهم، واستشهد على ذلك بما أثر عن حسان من مراثٍ ضعافٍ في النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر وغيرهم؛ وقد أجبنا عن ذلك في غير هذا الموضع بجوابٍ باتٍّ حيث أثبتنا بالبحث والدليل القاطع أن جملة ما نُسب إلى حسان من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم ضعيفٌ أو موضوع(٢)؛ فبطَل استدلال الأصمعيّ بذلك حينئذٍ، وسقط ما كان يذهب إليه من نظر في أن الشعر يضعف بضعف غَرَضه، وإنما الشعر خاصّةٌ في نفس الشاعر لا تذوي أو تنطفئ باختلاف وجهته حين يقول، بل يضعف الشعرُ بضعف طبع صاحبه وبلادَة قريحته، حيث لا يكون المرءُ شاعرًا أمس ثم يعجز عن حَوْكِ الشعر اليوم أو تختلفُ عليه آلتُه، نعم قد يقلّ شعره أو حتى يمتنع هو عن قوله لسببٍ ما؛ ولكنه لا يكون مجيدًا محسِنًا ثم لا يكون.

---

(١) الموشح، للمرزباني، محمد بن عمران بن موسى، ص٧١ (تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت).

(٢) انظر: المراثي النبوية في أشعار الصحابة: توثيق ودراسة، لمحمد شمس عُقاب، ص ٩٤ وما بعدها (مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١/١٤٣٥هـ).

لقد طار المعاصرون خصوصًا بمقولة الأصمعيّ هذه، وشقّقوا منها القول وبَنَوْا عليها؛ وهي في أساسها كما بيّنا قائمةٌ على استدلالٍ لا يصح؛ لا يمنعنا من قول ذلك جلالة قدر الأصمعي وعُلوّ شأنه.

ومن النصوص التي كانت سببًا في إثارة القول بدعوى ضعف الشعر بسبب مجيء الإسلام؛ ما روي عن ابن سلّام في قوله المشهور في الشعر: "فجاء الإسلامُ فتشاغلت عنه العربُ وتشاغلوا بالجهاد وغَزْو فارس والروم، ولهتْ عن الشعر وروايته. فلمّا كثُر الإسلامُ وجاءت الفتوحُ، واطمأنت العربُ بالأمصار راجعوا روايةَ الشِّعر، فلم يَؤُولوا إلى ديوانٍ مدوَّن ولا كتابٍ مكتوب، وأَلْفَوْا ذلك وقد هلك مِن العرب مَنْ هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلَّ ذلك وذهبَ عليهم منه كثير"(١).

وواضحٌ للمتأمّل هنا أن قول الرجل في قلة رواية الشعر، لا في ضعف نسجه، وشتّان، ومع ذلك لم يَدَّعِ ابن سلامٍ ذمًّا من الإسلام للشعر، ولا ذكر حَضًّا من الإسلام على البُعد عن روايته، بل حكى واقعًا كان –من وجهة نظره– بانشغالٍ كبيرٍ عن الشعر وعن روايته. وقول ابن سلّام غير منصرفٍ إلى شعر صدر الإسلام وحده؛ بل إلى شعر الجاهلية الذي لُهيَ عن روايته كذلك في فحوى كلام ابن سلّام. إنَّ قولَ ابن سلّام –حين نفهمه على هذا الوجه السليم من الفهم– لا يبعد عن كثيرٍ من الحق؛ إذ ما روي لنا من الشعر أقلُّ مما لم تروِ الرواةُ منه، لِلّذي ذكر ابنُ سلام ولغيره من السبب.

وقد ظنَّت طائفةٌ أن في قول ابن سلامٍ هذا حجّةً على المسألة، وليس قول ابن سلام في شيء من ذلك.

من تلك الآراء القديمة التي لم تُفهَم على وجهها، أو التي بُنيتْ على استدلالٍ غير صحيح، ثم ما كان من تلقُّف المتأخرين لها على هذا النحو وزيادتهم عليها

---

(١) طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، ٢٥/١ (تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بجدة، د.ت).

من لدنهم[١]؛ تكوَّنتْ نظرية ضعف الشعر في صدر الإسلام، التي مؤدّاها ذمُّ الإسلام نصًّا أو مفهومًا للشعر والشعراء.

إنَّ المنهج الصحيح في البحث أن نعود إلى نصوص الإسلام نفسه التي قد يُفهَم منها ذمُّ الشعر وشعرائه، في مصدريه: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ نستقي منهما الإجابة عن سؤال البحث، من خلال شروح العلماء والأئمة المختصين.

(١) ذهب الدكتور محمد مصطفى هدَّارة (في كتابه: الشعر العربي في القرن الأول الهجري، ص٧٧، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٨م) إلى أنَّ مثل هذه الأقوال ينبغي أن تكون محل نقدٍ شديدٍ؛ لأن أصحابها انساقوا إلى تأييد أقوالٍ قديمة من غير دراسةٍ لشعر صدر الإسلام من جوانبه المختلفة، وأنه يجب على هؤلاء الباحثين أن يضعوا في اعتبارهم عند تقويم شعر الإسلام مسائل عديدة:

أولًا: أنه لا مجال للمقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي أيام الرسول والخلفاء الراشدين من ناحية الكم؛ فالشعر الجاهلي قيل في مدى مئةٍ وخمسين عامًا على الأقل (بل زاد بعض الباحثين ما هو أبعد من ذلك بمئات السنين)، بينما لا تزيد مدة عصر الرسول وخلفائه الراشدين على أربعين سنة.

ثانيًا: لا ينبغي الاقتصار على دراسة شعراء المسلمين، بل يجب تجاوزهم إلى دراسة شعراء المشركين.

ثالثًا: هناك مجموعة ضخمة من الشعراء لم تهتم بهم كتب الأدب، ولم ترو أشعارَهم، وهم موجودون في كتب طبقات الصحابة. نضيف إلى ما ذكره الدكتور هدارة كتبَ التاريخ والمغازي والأنساب والفتوح، وهذه الكتب متخمةٌ بالأشعار المنسوجة في ذلك العصر، وهي كفيلةٌ بتغيير كثيرٍ من الأحكام والآراء الأدبية عن عصر صدر الإسلام من الناحية الشِّعريَّة.

الآياتُ القُرْآنيَّة

ورد ذكر الشعر والشعراء في ستة مواضع من كتاب الله جل وعلا، أربعٌ منها في هذه الآيات الكريمات:

١- قول الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾[١].

٢- قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[٢].

٣- قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[٣].

٤- قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾[٤].

وهذه الآياتُ الكريمات جميعًا جئن على سبيل الحكاية من القرآن الكريم عما حاول المشركون جهدَهم إلصاقَه بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى ينفوا عنه شرف الوحي من السماء، استكبارًا منهم وطغياناً، أو جهلًا من بعضهم حين خلطوا بين الشعر والكهانة وادّعاء الغيب، وظنوا ما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم من هذا الوادي حيث قصرت عقولهم عن استيعاب كنهه.

وليس في الآيات الأربعِ -مع ذلك- ذمٌّ للشعر في ذاته، بل تصويرٌ لما قد كان من هؤلاء. وإنما قد يُفهَمُ الذمُّ من آيات كريمات في موضعين آخرين من كتاب الله جل وعزَّ، سنعرض لهما بالتفسير والشرح من كلام العلماء المختصّين، هما:

٥- قول الله تعالى: ﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٥.

(٢) سورة الصافات، الآية ٣٦.

(٣) سورة الطور، الآية ٣٠.

(٤) سورة الحاقة، الآية ٤١.

يَنقَلِبُونَ﴾[١].

أول ما يلقانا في هذه الآية الكريمة هو وصفُ متَّبعي الشعراء بالغاوين، وقد اختلف المفسِّرون في الذين وُصفوا بالغَيِّ في هذا الموضع، فقال ابنُ عباس كما عند الطبريِّ في تفسيره[٢]: هم رواة الشعر. وقال آخرون كمُجاهدٍ وقَتادة: هم الشياطين. وقال عكرمة: هم عُصَاةُ الجنّ. وقال آخرون: هم السفهاء. وقيل: بل نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدِهما من الأنصار، والآخر من قومٍ آخرين، وأنهما تهاجيا، وكان مع كل واحد منهما غُواةٌ من قومه، وهم السفهاء، فقال الله عز وجل: "والشُعَراءُ يتَّبعُهم الغاوون، ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون".

قال أبو جعفر الطبريّ: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه: إنَّ شعراء المشركين يتَّبعهم غواة الناس، ومَرَدَةُ الشياطين، وعصاةُ الجنّ، وذلك أن الله عمَّ بقوله: "والشُعَراءُ يتَّبعُهم الغاوون"، فلم يخصِّص بذلك بعضَ الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية.

ثم يوجز الطبريُّ تأويل قول الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ": بهذا المعنى: يقول تعالى ذكره: ألم ترَ يا محمد أنهم -يعني الشعراء- في كلّ وادٍ يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرًا على الحقِّ وطريق الرشاد وقَصْدِ السبيل. وإنما هذا مَثَلٌ ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنُّون فيها بغير حق، فيَمدحون بالباطل قومًا، ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٧.

(٢) انظر في تفسير هذه الآية في كل المواضع التالية: الجامع في تأويل القرآن، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد ٤١٦/١٩ وما بعدها (تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ).

وقولُه تعالى: "وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ": قال ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون.

لقد عَنى الله عز وجل بهذه الآية شعراءَ المشركين، ثم استثنى شعراء المؤمنين منهم، فقال: "إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ".

وقولُه تعالى: "وَذَكَرُوا الله كَثِيرًا"، أي: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم. وقال آخرون: ذكروا الله كثيرًا في شعرهم.

ثم يرجّح الطبري ويجمع بين تلك الأقوال بهذه العبارة: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرًا، ولم يخص ذكرَهم الله على حالٍ دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتُهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كلّ أحوالهم.

وقوله تعالى: "وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا"، يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلمًا بشعرهم وهجائهم إيَّاهم، وإجابتِهم عما هَجَوْهم به.

وقيل: عُني بهذه الآية كلِّها الرَّهطُ من الشعراء الذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداريّ، قال: لما نزلت: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ"؛ جاء حسَّانُ بن ثابت، وعبدُ الله بن رواحة، وكعبُ بن مالك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنَّا شعراء، فتلا النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا".

وقوله تعالى: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا": يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة "أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"، أي: أيَّ مرجع يرجعون إليه، وأيَّ معاد يعودون إليه بعد مماتهم؛ فإنهم يصيرون إلى نارٍ لا يُطفأ سعيرُها، ولا يَسْكُن لَهبُها.

فهذا تفسيرُ الآية بأقوال الأئمة من الصحابة والتابعين كابن عباس رضي الله عنه ومولاه عكرمة، وكمجاهد وقَتادة وغيرهم رضي الله عنهم، وكلُّهم من أئمة التفسير وعلماء التأويل؛ وكلُّهم من المتقدِّمين الدانين من عهد النُّبوة المتّصلين

بأسباب الرواية فيه والعلم عن صاحبه صلى الله عليه وسلم؛ لم يقل أحدٌ منهم إنَّ القرآن ذمَّ الشعر ولا الشُّعراء مطلقًا، بل إنَّ الله عز وجلَّ ذمَّ أصحابَ الباطل سواء أكانوا رواةً أم شعراء أم غيرَهم من السفهاء والكاذبين. ومدح بالاستثناء الشعراء المؤمنين الذين ينصرون الخير والحق ويعملون الصالحات، وينتصرون لأنفسهم ونبيّهم ممن ظلمهم وأخرجهم وحارَبهم؛ وهنا يُعلمنا الإسلام معنى العزّة والكرامة، ويهدينا إلى استغلال الجمال في مواطن العدل وكبح جماح الطغيان والظلم، لا بالسيف والسنان وحدهما بل بالقلم واللسان أيضًا.

إنَّ منهج الإسلام في معاملة الشعر باختصارٍ هو منهجُه على كل حال، ما كان صوابًا وخيرًا فهو صوابٌ وخير، وما كان خطأً وشرًّا فهو خطأٌ وشرّ، ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحدا.

إنّ الذمَّ في الآية الكريمة لم يكن لجنس الشعر؛ لأنه لو كان لجنس الشعر لأفاد معنى تحريم الشعر، ولكنّه كان لأولئك الشعراء الموصوفين في الآية؛ لأن الشعر في أصله فنٌّ كلاميّ محايد لا يوصف بالخير ولا بالشر، ولكن الذي ينقله إلى فنّ يخدم الخير أو الشر هم الشعراء؛ حين يقوم الشعراء بتوظيفه في خدمة مقاصد الشرّ أو يوجهونه إلى خدمة مقاصد الخير.

٦- قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۝٦٩ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[١].

قد يُفْهَمُ من هذه الآية الكريمة الحَطُّ من قدر الشعر؛ لأنَّ الله عز وجلَّ قد نَزَّهَ نبيَّه صلى الله عليه وسلم فيها عن قول الشعر، وقد جاء في تفسير هذه الآية عن قَتادة في قوله: "وما علَّمناه الشِّعْرَ وما ينبغي له"، قال: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثَّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغضَ الحديث إليه، غير أنه كان يتمثَّل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخرَه أوَّلَه، وأوَّلَه

(١) سورة يس، الآيتان: ٦٩-٧٠.

آخرَه[١]، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: "إني واللهِ ما أنا بِشاعِرٍ، وَلا يَنْبَغِي لي"[٢].

فإنه يتَّضح من الخبر أنَّ معنى الآية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان مقدَّرًا له من ربه قولُ الشِّعر ولا صناعتُه، وما عُلِّمَ ذلك خليقةً، وما ينبغي له أن يكون كذلك؛ لكيلا يزعمَ أحدٌ أنَّ ما جاء به من الوحي شعر. وتلك هي معجزتُه صلى الله عليه وسلم: أن يأتي بكلامٍ يُعجِز العربَ وهو ليس بشعر، وكانت العرب تظنُّ الشعرَ أبلغَ الكلام وأعلاه، فلما أتى القرآنُ الكريمُ أعجزَهم وأدهشَهم. ولذلك كره النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُنسبَ إلى الشعر، وأبغَضَ أن يكون من أهله؛ من أجل ما ذكرنا من اتّهام المشركين له بالشعر، وقد قالوا فيما حكاه الله عنهم وهم مضطربون، لا يَدْرونَ نوعَ ما يسمعون: ﴿**بَلْ قَالُوا أَضغاثُ أَحْلامٍ بل افْتَرَاه بل هُوَ شَاعِرٌ**﴾[٣]؛ فنقض اللهُ عز وجلَّ قولَهم، وأجاب عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم فقال: "وما هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، ولا بِقَوْلِ كاهنٍ قَليلًا ما تَذَكَّرونَ؛ تَنْزِيلٌ مِن ربِّ العَالَمين"[٤]، أي هو تنزيل ووحيٌ من الله عز وجل، وما هو بشعرٍ، وما صاحبُه الذي أتى به بشاعرٍ؛ إذ هو لم يتعلَّمْه، وما ينبغي له أن يتعلَّمَه، أو يقولَه، أو أن يكون من أهله، بل يكفيه ما جاءه من النور من عند الله عز وجل وهو القرآن الكريم، وهو الذّكرُ الحكيم[٥].

---

(١) تعني بيت طَرَفَة، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثَّل به هكذا: "ويأتيكَ مَنْ لم تُزوِّد بالأخبار".

(٢) انظر: الجامع في تأويل القرآن، للطبري ٥٤٩/٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥.

(٤) سورة الحاقَّة، الآيتان: ٤١-٤٣.

(٥) وردَّ عليهم في آياتٍ أخرى، منها قوله سبحانه وتعالى في سورة الصافات، الآيتان: ٣٦-٣٧: "ويقولون أئنَّا لَتاركو آلِهَتِنا لشاعرٍ مجنون؟ بل جاء بالحق وصدَّقَ المرسلين"، وقولُه سبحانه وتعالى في سورة الطور، الآيتين: ٣٠-٣١: "أم يقولون شاعرٌ نتربَّص به ريبَ المَنُون. قل تربَّصوا فإني معكم من المتربِّصين".

فالنبي صلى الله عليه وسلم –مما فهمناه من تفسير قتادة فيما نقله عن عائشة رضي الله عنها– لم يكن يبغض الشعر في نفسه؛ لأنه قد تمثَّل به؛ بل كان يبغض أن يُنسب عِلْمُ الشعر إليه أو أن يتَّصلَ به، بدليل أنه صلواتُ الله عليه قد أنشد بيتَ أخي بني قيسٍ في حديث عائشة مقلوبًا، فلو كان قد أبغضَ الشعر في نفسه لما أنشَدَ شيئًا منه؛ ولعل هذا ما أرادت عائشة رضي الله عنها إبلاغنا به حين ذكرت إنشاده بيت طَرَفة.

وقد فسَّر ابنُ رشيقٍ (ت ٤٥٦) من المتأخرين الآيةَ تفسيرًا حسنًا طريفًا لا تعارض فيه مع ما ذهب إليه المتقدمون فيها؛ فقال: "معناها: ما الذي علَّمناه شعرًا، وما ينبغي له أن يُبلِّغ عنَّا شعرًا، ولو أنَّ كونَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم غير شاعر غضٌّ من الشعر؛ لكانتْ أمِّيَّتُه غَضًّا من الكتابة"(١). وهذا استدلالٌ من ابن رشيقٍ ذكيٌّ جيّد، والله أعلم.

ذاك إذن هو المفهوم من عموم نَظْرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى الشعر، فإنه صلواتُ ربي وسلامه عليه قد استمعه في مواطنَ أخرى، واستنشدَه، وأجاز عليه، وأمر حسان بن ثابت أن يهجوَ المشركين به، في أخبارٍ وأحاديثَ كثيرةٍ معروفة. فينبغي عند الحكم في أي قضية أن يُنظر في النصوص الواردة فيها جميعًا، لا أن يؤخذ نصٌّ واحدٌ بتفسيرٍ مقتطع، ثم يُدَّعى أنَّ موقف الإسلام فيه، فإنَّ هذا –لا ريبَ– خطأٌ في منهج البحث عن الحقيقة.

---

(١) العمدة، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ٨/١ (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٥م).

الأحَادِيثُ النَّبَوِيَّة

من كثرة ما روي من أحاديث في شأن الشعر والشعراء، صنَّف بعض العلماء كتبًا مستقلَّةً في هذا الشأن، كالحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه: (جزء أحاديث الشعر) الذي اشتمل على (٢٧) حديثًا[١]، وعقد بعضهم أبوابًا مستقلةً وفصولًا في الأحاديث النبوية التي جاءت في الشعراء والشعر، كما في دواوين الحديث النبوي الكبار، كصحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من أهل الشأن، رضوان الله عليهم.

وما يعنينا هنا من جملة تلك الأحاديث الجليلة الأحاديثُ التي قد يظهر منها ذُّم الشعر، وهي بضعةُ أحاديث، منها حديثان صحيحان، وأحاديث أخرى ضعيفة لا يُحتجُّ بها. أما ما سوى ذلك من الأحاديث والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنها في إباحة الشعر واستحسانه أو استنشاده والحثِّ على قوله، وسنورد طرفًا من ذلك؛ وليس هذا مجال استقصاء هذه النصوص لكثرتها وشهرتها.

أما الحديثان الصحيحان فهما:

١- الحديث الأول: عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: سُئلت عائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُتَسامَعُ عنده الشعر؟ قالت: كان أبغضَ الحديث إليه[٢].

وفي روايةٍ: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثَّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغضَ الحديث إليه، غير أنه كان يتمثَّل ببيت أخي

---

(١) انظر: جزء أحاديث الشعر، لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجمَّاعيلي الدمشقي الحنبلي، تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية، عمَّان، ط١/١٤١٠هـ).

(٢) المسند، للإمام أحمد، ٤٧٥/٤١ (تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ).

بني قيس، فيجعل آخرَه أوَّلَه، وأوَّلَه آخرَه[١]، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: "إني واللهِ ما أنا بِشاعِرٍ، وَلا يَنْبَغِي لي"[٢].

(يُنظر في الكلام على هذا الحديث ما مرَّ في الآية السادسة: "وما علَّمناه الشعرَ وما ينبغي له"، فقد فُصِّل القول فيه هناك).

٢- الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَأَنْ يمتلئ جوفُ أحدكم قَيْحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْرًا". رواه البخاريُّ في باب: ما يُكرَه أن يكون الغالبَ على الإنسان الشعرُ حتى يصدَّه عن ذكر الله والعلم والقرآن[٣].

وفي روايةٍ أخرى عند البخاريِّ في الباب نفسِه عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَأَنْ يمتلئ جوفُ رجلٍ قَيْحًا يَرِيهُ خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْرًا"[٤]. ويَريه: يُصيب رئتَه.

وفي رواية مسلم: عن أبي سعيد الخدري، قال: بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَرْج إذ عَرَض شاعر يُنشد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُذوا الشيطان، أو أمسكوا الشيطان؛ لَأن يمتلئ جوفُ رجل قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا"[٥].

---

(١) تعني بيت طَرَفَة، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثَّل به هكذا: "ويأتيكَ مَنْ لم تُزوِّد بالأخبار".

(٢) انظر: الجامع في تأويل القرآن، للطبري، ٥٤٩/٢٠.

(٣) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، ٣٦/٨، رقم ٦١٥٤ (تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ١٣١١هـ).

(٤) صحيح البخاري، ٣٧/٨، رقم ٦١٥٥.

(٥) صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ١٧٦٩/٤، رقم ٢٢٥٩ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

وقد أجمل الإمامُ الطحاويُّ في (شرح معاني الآثار) الأقوال معقِّبًا على هذا الحديث برواياته، فقال: فَكَرِهَ قومٌ روايةَ الشعر واحتجُّوا في ذلك بهذه الآثار، وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا: لا بأس برواية الشعر الذي لا قَذَع فيه. وقالوا: هذا الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو على خاصٍّ من الشعر، فذكروا في ذلك حديث عائشة أنه قيل لها: إن أبا هريرة يقول: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا". فقالت عائشة رضي الله عنها: يرحم الله أبا هريرة حَفِظَ أولَ الحديث ولم يحفظْ آخره؛ إن المشركين كانوا يُهاجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "لَأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا من مهاجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

ثم نقل الطحاويُّ عن الشَّعْبي قوله: كنا جلوسًا بفناء الكعبة أحسبه قال: مع أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتناشدون الأشعار، فوقف بنا عبد الله بن الزبير فقال: في حَرَمٍ وحول الكعبة يتناشدون الأشعار! فقال رجل منهم يا ابن الزبير: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما نهى عن الشعر الذي إذا أتيتَ فيه النساء وتزدري فيه الأموات. قال الطحاوي: فقد يجوز أن يكون الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في أول هذا الباب من الشعر الذي نُهي عنه في هذا الحديث(٢).

ثم قال –رحمه الله– بعد أن أورد أحاديث تدلُّ على إباحة الشعر: فلما جاءت هذه الآثار متواترةً بإباحة قول الشعر ثبت أن ما نُهي عنه في الآثار الأُوَل ليس لأن الشعر مكروهٌ، ولكن لمعنى كان في خاصٍّ من الشعر قُصد بذلك النهيِ إليه. وقد ذهب قومٌ (يعني أبا عُبَيْدٍ) في تأويل هذه الآثار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول هذا الباب إلى خلاف التأويل الذي

---

(١) شرح معاني الآثار، للطحاوي، أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري، ٢٩٦/٤ (حققه وقدم له محمد زهدي النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، ط١/١٤١٤هـ).

(٢) شرح معاني الآثار، للطحاوي، ٢٩٧/٤.

وصفنا فقالوا: لو كان أريد بذلك ما هُجي به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الشعر لم يكن لذكر الامتلاء معنًى؛ لأن قليلَ ذلك وكثيرَه كُفْر. ولكنْ ذكر الامتلاء يدل على معنى في الامتلاء ليس فيما دونه. قال: فهو عندنا على الشعر الذي يملأ الجوفَ فلا يكونُ فيه قرآنٌ ولا تسبيحٌ ولا غيره، فأما ما كان في جوفه القرآن والشعر مع ذلك فليس ممن امتلأ جوفُه شعرًا فهو خارجٌ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

قال السُّهيلي: فإن قلنا بذلك فليس في الحديث إلا عيبُ امتلاء الجوف من الشعر فلا يدخل في النهي روايةُ اليسير على سبيل الحكاية ولا الاستشهاد به في اللغة. ثم ذكر استشكال أبي عُبيد وقال: عائشةُ أعلمُ منه؛ فإن الذي يروي ذلك على سبيل الحكاية لا يَكفر. ولا فرق بينه وبين الكلام الذي ذمُّوا به النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الجوابُ عن صنيع ابن إسحاق في إيراده بعضَ أشعار الكَفَرة في هَجْو المسلمين. والله أعلم(٢).

قال الطبريُّ في (تهذيب الآثار): وقالوا: غيرُ جائز أن يكون معناه غير ما قلنا لأن معناه لو كان على الامتلاء من جميع أنواع الشعر لما كان لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر حكمة" معنًى معقول؛ لأن ذلك لو كان على كل أنواع الشعر لا على الخاصِّ منه الذي روى الشَّعبيُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيَه عنه؛ لكان مَنْ كان جوفُه ممتلئًا من الشعر الذي هو حكمة داخلًا فيما قال صلى الله عليه وسلم، وقد كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةٌ لا شك أن الغالب كان عليهم الشعرُ وقِيلُه، وذلك بعلمٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لذلك من أمرهم ذامًّا، بل كان لهم حامدًا، ولهم

---

(١) شرح معاني الآثار ٤/٣٠٠، رقم ٦٥١١.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٠/٥٤٩ (رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر، ط١/١٣٨٠-١٣٩٠هـ)ـ

بقِيلِه آمرًا، منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم ممن يكثر عددهم(١).

قلتُ: وقد فقُه البخاريُّ هذه المعاني -رحمه الله- فبوَّب بمقتضاها البابَ الذي رَوى فيه الحديث بقوله: (باب ما يُكرَه أن يكون الغالبَ على الإنسان الشعرُ حتى يصدَّه عن ذكر الله والعلم والقرآن)(٢). وهكذا فَهِمَ علماؤنا رحمهم الله تعالى الحديث، فلا مجال لأقوالٍ إن قيلت من مستشرقين أو غيرهم من معاصري العرب أنَّ الإسلامَ قد حَطَّ من الشعر، أو ذمَّه مطلقًا، أو حرَّمه؛ فهذا خطأ منقوضٌ مردودٌ عليه.

وأما ما جاء في مطلع رواية مسلم للحديث: "خذوا الشيطان، أمسكوا الشيطان"، فقد قال القاضي عياض في (إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم): "هذا الحديث وشبيهه مما يَحتج به من نهى عن الشعر ومنعه جملةً، قليله وكثيره، واحتجَّ بهذا وشبهه. وإليه ذهب الحَسَن ومسروق وعبد الله بن عمرو بن العاص في آخرين؛ والكافّة على خلافه، وأنه كالكلام؛ فحسنه حَسَن، وقبيحُه قبيح، كما روي عن الشافعي، وقد أنشد النبي صلى الله عليه وسلم الشعر وتمثَّل به، واستنشده، وقاله أصحابه، وحضَّهم على قوله في هجاء المشركين. وقد روي عن الخلفاء، وأئمة الصحابة، وفضلاء السلف في استشهادهم به، وإنشادهم، وقولهم الجيد منه والرقيق والمثقّف في ضروب أفانينه ما يغني عن جلب شاهدٍ عليه لشهرته، وإنما المذموم الوجوه المتقدمة"(٣).

---

(١) تهذيب الآثار، للطبري، محمد بن جرير بن يزيد، ٦٢٢/٢-٦٢٣ (تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة).

(٢) صحيح البخاري، ٣٦/٨.

(٣) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ٢٠٠/٧ (تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١٤١٩/١ هـ).

ومع ذلك لم يُجب القاضي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خذوا الشيطان، أمسكوا الشيطان" في وصف ذلك الشاعر. والجمع بين هذا وبين إباحة الشعر الذي ذهب إليه القاضي أن هذا الشاعر ممن ورد وصفهم في الحديث ممن امتلأ جوفه بالشعر –وربما كان ذلك من الشعر المنهيّ عنه– وشُغل به عن ذكر الله عز وجل وعبادته، فلا ينافي هذا ذلك حينئذٍ. وإلى هذا ذهب القرطبي في تفسير آية (الشعراء) فقال: قال علماؤنا: وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لِما علم من حاله، فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عُرف من حاله أنه قد اتخذ الشعر طريقًا للتكسب، فيفرط في المدح إذا أعطي، وفي الهجو والذم إذا مُنع، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم. ولا خلاف في أنَّ من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام. وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه، ولا يحل الإصغاء إليه، بل يجب الإنكار عليه"(١).

قال النووي في شرح مسلم: "وبالجملة فتسميته شيطانًا إنما هو في قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها فلا يحتج بها والله أعلم". يعني أن وصف "الشيطان" في الحديث متعيّن في حق ذلك الشاعر بخصوصه لا بعموم.

(١)الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، أبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ١٣/١٥٠ (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/ ١٩٦٤م).

النهيُ عن رِواية بعض الشِّعْر:

مما قد يُرى من ذمّ الشعر النهيُ عن روايته، ففي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن رواية قصائد بعينها؛ لأسباب بعينها؛ وهذا النهي -إن صحَّ- في خصوص هذه القصائد لا في عموم الشعر، ما يدل على جواز رواية سائره، وعلى هذا العمل عند العلماء، مستدلّين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الاستماع إلى الشعر وإنشاده.

والذي بلغنا من الشعر الذي قيل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن روايته قصيدتان:

١- قصيدة أميَّة بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر؛ وذلك لغرض الحرب النفسيَّة كما نقول في عصرنا الآن، فقصيدة أميَّة من جزل الشعر وأسيفِه، وهو يمسُّ نفس سامعه، فيُخشى أن يؤثر في المؤمنين في ذلك الوقت. وذلك النهي مقترن بزمان حرب المشركين إذ ذاك؛ بدليل أنه قد رويت لنا أبيات كثيرة من تلك القصيدة بعد ذلك بعد انقضاء سبب النهي، بل وقعت روايتها عن محمد بن إسحاق ونقلها ابن هشام في (السيرة النبوية)[١].

وربما نجد أنفسنا مطمئنّين لصحة هذا الخبر المذكور في (السيرة)، فقد مرَّ به ابن هشام وغيره من النقاد وتلقَّوه على محمل القبول من غير نُكر. وهو يسيرُ في ركاب السيرة النبوية وسيرة الغزوات لذلك العهد.

٢- وأما القصيدة الأخرى التي رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم نَهى عن روايتها فإنّ خبرها لم يأتِ في كتب الرواية المعتمدة، لا في كتب الحديث

---

(١) جاء في (السيرة النبوية، لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ٣٠/٢، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢/ ١٣٧٥هـ): قال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت، يرثي من أصيب من قريش يوم بدر:

ألا بَكَيْتَ على الكِرامِ بَني الكرام أولي المَمَادحْ
كبُكا الحَمام على فُرُوع الأيْكِ في الغُصن الجوانحْ

ولا في كتب التاريخ، وإنما رواها ابن أبي الدنيا (ت ٢٨٠ هـ) في بعض كتبه، وهي قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة ومدح عامر بن الطفيل؛ فقد رَوى ابنُ أبي الدنيا بإسناده عن محمد بن مَسلمة رضي الله عنه: كنا يومًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت: "يا حسّان أنشدني قصيدةً من شعر الجاهلية؛ فإن الله قد وضَع عنّا آثامهما في شعرها وروايتها"؛ فأنشده قصيدةَ الأعشى التي هجا بها علقمة بن علاثة:

علقمَ مَا أَنْتَ إلى عَامرِ ∴ النَّاقِضِ الأَوْتارِ والوَاتِرِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا حسان لا تَعُد تُنشدني هذه القصيدة بعد مجلسي". فقال: يا رسول الله، تنهاني عن رجل مشرك مقيمٍ عند قيصر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا حسان، أشكرُ الناس للناس أشكرهم لله عز وجل، وإنَّ قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني مقالًا، وسأل هذا عني فأحسنَ القول"؛ فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذاك(١).

فهذا الخبر –إن صح– فإن النهي فيه لا لنهي عن رواية الشعر في ذاته، بل وفاءً لعلقمة لجميل صنعه في حق النبي صلى الله عليه وسلم.

فمثل هذين الخبرين لا حجَّة فيهما على مذمَّة الشعر.

---

(١) اصطناع المعروف، لابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي، ص١٠٧ (تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط١/١٤٢٢هـ).

أحاديثُ ضَعِيفَة:

هنالك أحاديث ضعيفةٌ رويتْ في ذمّ الشعر والشعراء[١]، لا يُحتجُّ بها ولا يؤسَّسٌ عليها لضعفها ووهْيها، نوردها على سبيل الاستقصاء في البحث، وعلى سبيل الدلالة على ضعفها والتنبيه على عدم العمل بها في مواضع الاحتجاج والتأريخ للأدب لذلك العصر، ذلك أنها تشيع في بعض الكتب وتُذكر على أنها من موقف الإسلام من الشعر، وليس الأمر كذلك؛ إذ الحديث الضعيف مما لا يُحتجُّ به في مثل هذا الجانب الذي يؤول إلى أحكامٍ تكليفيَّة من الحل والحرمة والكراهة والاستحباب.

وهذا بيان أشهر تلك الأحاديث:

١- عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن إبليس لما أُنزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض، وجعلتني رجيمًا -أو كما ذكر- فاجعل لي بيتًا، قال: الحمّام. قال: فاجعل لي مجلسًا، قال: الأسواق ومجامع الطرق. قال: اجعل لي طعامًا. قال: ما لا يذكر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شرابًا، قال: كل مُسْكِر. قال: اجعل لي مؤذّنًا، قال: المزامير. قال: اجعل لي قرآنًا. قال: الشِّعر. قال: اجعل لي كتابًا، قال: الوسم. قال: اجعل لي حديثًا، قال: الكذب. قال: اجعل لي مصايد، قال: النساء"[٢].

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف[٣]. والحديث عند أصحاب الصنعة ضعيفٌ لا يُحتج به[٤].

---

(١) انظر: جزء أحاديث الشعر، لعبد الغني المقدسي، باب ما ورد في ذم الشعر.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ٢٠٧/٨ (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١/٢٠١٠م).

(٣) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، ١١٩/٨ (تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ).

(٤) انظر: بيان موقف السنة الغرّاء من الشعر والشعراء، ص١٤٠٣.

٢- عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قَرَضَ بيت شعرٍ بعد العِشاء الآخرة، لم تُقبل له صلاة تلك الليلة ". رواه أحمد(١).

قال محققو (المسند): إسناده ضعيفٌ جدًّا(٢). وقد ذكره ابن الجوزي في (الموضوعات)، وقال: هذا حديث موضوع(٣).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار"(٤).

قال محققو (المسند): إسناده ضعيفٌ جدًّا(٥). والحديث عند نقاد الحديث ضعيفٌ من جميع طرقه، فلا يصلح للاحتجاج به على ذمّ الشعر مطلقًا(٦).

٤- عن ثوبان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رأيتموه ينشد شعرًا في المسجد، فقولوا: فضَّ الله فاك، ثلاث مرات"(٧).

وهو حديث ضعيف جدًّا(٨).

٥- حدّثنا عمرو بن مَرزوق، أخبرنا شُعبة، عن عمرو بن مُرَة، عن عاصم العَنَزي، عن ابن جُبير بن مُطعِم عن أبيه رضي الله عنه أنه رأى رسول الله

---

(١) المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ٣٥٧/٢٨.

(٢) انظر: المسند، ٣٥٧/٢٨، الهامش رقم ٢.

(٣) انظر: الموضوعات، لابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، ٢٦١/١ (ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١/١٣٨٦هـ).

(٤) انظر: المسند، للإمام أحمد، ٦٧/١٢.

(٥) انظر: المسند،٦٧/١٢، الهامش رقم ٢.

(٦) بيان موقف السنة الغرّاء من الشعر والشعراء، ص١٤١٤.

(٧) المعجم الكبير، للطبراني، ١٠٣/٢، رقم ١٤٥٤.

(٨) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيّئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ١٥٢/٥ (مكتبة المعارف، الرياض، ط١/ ١٤١٢هـ).

صلى الله عليه وسلم يصلّي صلاةً -قال عمرو: لا أدري أيَّ صلاة هي – فقال: "اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ كبيرًا، اللهُ أكبرُ كبيرًا، اللهُ أكبرُ كبيرًا، الحمدُ لله كثيرًا، الحمدُ لله كثيرًا، وسبحان الله بُكرةً وأصيلًا – ثلاثًا- أعوذُ بالله من الشَيطانِ: من نَفْخِه ونَفْثِه وهَمزِه". قال: نَفثُه: الشعر، ونَفخُه: الكبر، وهَمزُه: المُوتة[١].

هذا حديث ضعيف تفرّد به عاصم العَنَزي ولم يُتابع عليه"[٢]. وعاصم العنزي غير معروف. وقال البخاري في هذا الحديث: "لا يصح"[٣].

وقد نقل العينيُّ شكًّا أن يكون تفسير النَّفْث بالشِّعر من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث[٤]، أي أنه من زيادة الرواة في تفسير المعنى.

فتلك إذن طائفة من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي تدور في بعض كتب الأدب وبعض الكتب المعاصرة التي تؤرّخ للشعر والأدب في صدر الإسلام، وتُتلقى على سبيل القبول والصحة، وقد يُعمل بها في الأحكام الأدبية لعصر صدر الإسلام، وقد يُستشهد بها على موقف الإسلام من الشعر، وهي مما لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تمثّل حقيقةً أدبيَّةً أو شرعيَّةً يُعوَّل عليها.

---

(١) السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ٧٧/٢ (تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١/١٤٣٠هـ).

(٢) بيان موقف السنة الغرّاء من الشعر والشعراء، ص١٣٩٩.

(٣) انظر: ضعيف سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ٢٩٧/١ (مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١/١٤٢٣هـ).

(٤) انظر: شرح سنن أبي داود، لبدر الدين العيني، أبي محمد محمود بن أحمد الحنفى، ٣٧٢/٢ (تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١/١٤٢٠هـ).

الآثَارُ المُجِيزةُ للشِّعر:

إذا استثنينا الأحاديث الصحيحة التي سبقت التي قد يُفهَم منها ذمٌّ ما للشعر، وقد أجبنا عنها، والأحاديثَ الضعيفة القليلة التي لا يُحتجُّ بها؛ فإنَّ بقية أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسننه –وهي الأكثر– إمّا مبيحةٌ للشعر، وإمَّا حاثّةٌ عليه داعيةٌ إليه، وقد يُقال كذلك: موجبةٌ له في بعض الأحيان كدعوة الرسول شعراء الصحابة إلى مهاجاة الكفار، وأمره واجبُ القبول عند المسلمين لا سبيل إلى التخلف عنه.

ولا يسعنا ها هنا استقصاء تلك الأحاديث والآثارَ النبوية الشريفة؛ فهي كثيرة، وقد عقد لها أئمة الحديث أبوابًا في كتبهم أو صنَّفوا فيها كتبًا مستقلة، ولكن نقتصر من ذلك على أمثلةٍ يسيرة مما جاء في أصح كتابين عند المسلمين: البخاري ومسلم:

١– في صحيح مسلم عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "اهجُوا قريشًا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل؛ فأرسل إلى ابن رواحة فقال: "اهجُهم"، فهجاهم فلم يرضَ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آنَ لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فريَ الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعجل، فإن أبا بكر أعلمُ قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسبًا، حتى يلخّص لك نسبي"، فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخّص لي نسبَك، والذي بعثك بالحق لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لحسان: "إن روح القدس لا يزال يؤيِّدُك، ما نافحت عن الله ورسوله"، وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "هجاهم حسان فشفى واشتفى"، قال حسان:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ∴ وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ∴ رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

فروى من القصيدة المشهورة ١٣بيتًا[١]. وهذا ليس من عمل المحدّثين أن يرووا الشعر، ولكن لما كان هذا لا بأس به، ولما كانت القصيدة في فتحٍ عظيم، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه شهدها وأعجبه شعر حسان في قريش؛ روَوْها.

وإنَّ الناظر في هذا الحديث ليرى قَدْرَ النبي صلى الله عليه وسلم الشعرَ قَدْرَه، فإنه يجعل أثره في نفوس قريش أعمقَ وآلَمَ من رشق النبال، ويا له من تشبيه! وهو يطلب الشعراء واحدًا واحدًا ويروز أشعارهم، فيرضَى منه ويترك، وهو يناقش فحل الأنصار حسان في شعره ألّا يقع في زلةٍ تطال نسب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يحثُّه ويخبره بأنَّ روح القدس يؤيِّده، وروح القدس رسول السماء.

٢- وفي صحيح البخاري عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ من الشعر حكمة"[٢].

٣- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أصدقُ كلمة قالها الشاعر كلمة لَبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ، وكاد أميَّة بن أبي الصَّلْتِ أن يُسلم"[٣].

كذا في رواية البخاري بتعريف "الشاعر"، وهي بليغة، وفي رواية مسلم بالتنكير[٤] على المشهور من الرواية.

٤- وفي صحيح مسلم عن عمرو بن الشَّريد، عن أبيه، قال: ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت

---

(١) رواه مسلم، ١٩٣٥/٤، رقم ٢٤٩٠.

(٢) رواه البخاري، ٣٤/٨، رقم ٦١٤٥.

(٣) رواه البخاري، ٣٥/٨، رقم ٦١٤٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم ١٧٦٨/٤، رقم ٢٢٥٦.

شيء؟"، قلت: نعم، قال: "هيه"؛ فأنشدته بيتًا، فقال: "هيه"، ثم أنشدته بيتًا، فقال: "هيه"، حتى أنشدته مئة بيت(١).

فهذا حديث جليلٌ في استحباب النبي صلى الله عليه وسلم شعرَ هذا الرجل على عداوته وكفره، للذي كان فيه من جليل الكلام والحكمة، ولمشاكهته المعانيَ الإسلامية. ولا ينقضي عجبُنا من ذلك وقد رُوي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نَهى عن رواية بعض شعر أمية في رثاء قتلى بدرٍ من قريش.

إنَّ مِئة بيتٍ لشيءٌ كثير أن يستنشده النبي صلى الله عليه وسلم لا على التوالي، بل بيتًا بيتًا، وفي هذا الحديث على الخصوص فقهٌ واسعٌ لمن أراد أن يقف على جانب كبير من موقف الإسلام من الشعر.

ولعلَّ في هذين الأمرين الواردين عن هَدْيِ النبي صلى الله عليه وسلم: الاستنشاد من شعر أميَّة الأبياتَ الكثيرة، والنهي عن رواية بعض قصيده؛ ما يدل على إنصاف الإسلام، وأنه لا يظلم شيئًا بشيء.

٥- وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق، حتى أغمر بطنه، أو اغبرَّ بطنه، يقول:

وَاللهِ لَوْلا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ∴ وَلا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ∴ وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ∴ إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ورفع بها صوته: أَبَيْنَا أَبَيْنَا"(٢).

وفي هذا الحديث الجليل دليلٌ على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستروح بالشعر في عمله الشاقّ هذا، ويحفظ منه، ويتمثَّل ببعضه، كما فعل هنا

---

(١) رواه مسلم، ١٧٦٧/٤، رقم ٢٢٥٥.

(٢) رواه البخاري، ١٠٩/٥، رقم ٤١٠٤.

حين تمثَّل بهذه الأبيات من شعر صاحبه عبد الله بن رواحة[١]، والحديث في البخاري لا شك في صحته، وهو دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ بعض الشعر على وزنه ولفظه من غير تقديمٍ وتأخير[٢] ،لا كما ورد في رواية بيت طرفة (أخي بني قيس) الذي تعرضنا إليه قبل في هذا البحث من حديث عائشة.

٦- وفي البخاري عن سلمة بن الأكوع قال: خرجْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خَيْبر فسِرْنا ليلا، فقال رجلٌ من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تُسمعُنا من هُنَيْهاتك، قال: وكان عامر رجلا شاعرًا فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ∴ وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءٌ لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا ∴ وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ∴ إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من هذا السائق؟" قالوا: عامر بن الأكوع، فقال: "يرحمه الله"، فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به... الحديث[٣].

فلو أنكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا لما ترحم عليه، بل العكس هو المفهوم من مؤدَّى الحديث.

٧- وفي البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: أنه سمع حسّان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة نشدتُك بالله، هل

---

(١) انظر عزو هذا الشعر إلى عبد الله بن رواحة في: الجمع بين الصحيحين، لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، ١٠١/٣، رقم ٣١٢٢ (اعتنى به حمد بن محمد الغماس، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/ ١٤١٩هـ).

(٢) انظر: شعر أهل الحديث، بقلم عبد العزيز القارئ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ١٢، ١٠٧/٥.

(٣) رواه البخاري، ٣٥/٨، رقم ٦١٤٨.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا حسان أجب عن رســـول الله، اللهم أيّده بروح القدس؟" قال أبو هريرة: نعم[١].

(١) رواه البخاري، ٣٦/٨، رقم ٦١٥٢.

الخَاتِـمَةُ والنَّتائِج

أراد هذا البحث أن يفصّل القول في قضية مهمَّة من قضايا الأدب العربي القديم؛ فيجيبنا عن هذا السؤال القصير لفظًا، ولكنه معوزٌ إلى طويلٍ من الإجابة: هل وقف الإسلام موقفًا ذامًّا للشعر؟

لقد خاض المشتغلون –وغير المشتغلين– باللغة والأدب قديمًا وحديثًا؛ غمارَ القول في هذه القضية، ما بين مُجْحفٍ ومُقْسِط، وسلكوا إلى ذلك مسالك مختلفات، منها ما هو من صميم الموضوع ومنها ما هو خارج عنه وهو الأغلب؛ لقد أراد هذا البحث أن يعود بالقضية إلى أصولها ومصادرها الحق؛ إلى الإسلام نفسه يُسائل آياته وأحاديثَه، ويستقي العلمَ منها؛ وأن يعود إلى المعتمَدين من العلماء المختصّين في تأويل هذه النصوص وشرحها، بما أوتوا من أدوات الاختصاص والنظر، وألّا يعتمد من غير متخصص في الوحيين قولًا قاطعًا، وألّا يصوّب قولًا عجِلًا من غير دليل، أو قولٍ مقتصر على دليل منتزعٍ من سياقه، أو دليلٍ مقتطع لا يكفي وحده؛ بل يجب الأخذ به معضودًا بغيره من النصوص والأدلة، حتى تكتمل الصورة، ويحسنَ النظر؛ وهذا حق العلم علينا؛ أن نجتهد في استقرائه وتبيُّنه، لا أن نجتزئ بعضَه ونهمل بعضًا، ثم نستنبط الأحكام من ذلك.

خلص هذا البحث بعد النظر في نصوص مصدري الإسلام: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف؛ إلى أنَّ الإسلام قد اتخذ في الحقيقة موقفًا معيّنًا من الشعر، ونظر إليه نظرًا محدَّدًا ظاهرًا لا مراء فيه؛ يمكننا تلخيصه في النقاط الآتية:

القرآن معجزةٌ لغويَّة، وقد أتى الوحيُ مخاطبًا قومًا من العرب الفصحاء سعيًا إلى هدايتهم، وكانت سبيله إلى ذلك اللغة التي بها يُفهَم عنه، وقد نزل على جيلٍ هم أفصحُ العرب، وأفصحُ هؤلاء وأعلاهم رتبةً من اللغة الشعراءُ من غير شكّ؛ وإنَّ هذا اعترافٌ ضمنيّ بقوة الشعر وأثره العظيم في النفوس، فجاء

الخطابُ على قدر الحاجة العربيَّة، مراعيًا الحال اللغويَّة الرَّاقية؛ كي يبلغ منتهاه وغايتَه.

لم يسعَ الإسلام قطُّ إلى إسكات الشعراء؛ فهذا قولٌ باطل، بل كان يسمع أصواتهم من خلال رسوله إلى الناس كافّةً محمد صلى الله عليه وسلم، بل استنشد الرسول الشعراء كي يقولوا، وروي في الصحيح أنه فاضلَ بينهم، وقدَّم بعضهم على بعض، بل كان له شعراء يعملون له ما يشاء من الشعر، ربما لم يُعرف من بعضهم واسعُ إنفاقٍ ولا كبيرُ غزو، أو لم يؤثر عنهم جليل من العمل سوى الشعر، والشعر إذ ذاك عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أجل العمل. فهذا حكم مطلقٌ لا يمكن إنكاره أو تجاوزه: الإسلام لم يرفض الشعر بإطلاق، ولم يذمَّه بعموم.

إذا تبيَّن ذلك فإنه يجب التفصيل فيما صنعه الإسلام بالشعر، ونستطيع أن نجمل هذا بكلمةٍ واحدة: أنَّ الإسلام "هذَّب" الشعر، نعم على صورته الإسلامية التي أرادها.

أهمُّ ملامح تلك الصورة أنَّ الإسلام عامل الشعر معاملتَه غيره من القول والعمل، فما كان منه مَرضيًّا لله ورسوله فهو مرضيٌّ عنه، وما كان مما يكرهه الله ورسوله فهو مرذولٌ مرفوض؛ وأولى ذلك وأحقُّه كل ما يُضعف الإسلامَ أو يعوقُ نشر الدين الجديد، مما لا يحتمله الواقع، وكل ما يوقع في نفوس المسلمين الخوَر أو الضعف أو ينال من نفوسهم وقت المجاهدة، أو يفتّ في عضدهم عن التقدم والبذل؛ فهذا كله مما حرَّمه الإسلام، بل حرَّم تناوله وحرَّم روايته؛ وذا كله أمرٌ مفهومٌ لدى كل قوم؛ ولا سيَّما في تلك الفترة الحربيَّة.

فإذا ما رُوي شعرٌ من ذلك يَظهرُ فيه غلَبٌ للمشركين، أو مدحٌ لفعالهم، أو استبسالٌ من قبل شعرائهم، وذاع ذلك، استدعى الرسولُ صلى الله عليه وسلم له شعراءه لينافحوا عنه، ويدفعوا ذلك القول، وانتقى من يُحْسنُ ذلك منهم؛ فهذا من وجهٍ زيادةٌ في مادّة الشعر، وفتحُ بابةٍ جديدةٍ في أبوابه، هي فيما نرى أكبر بابةٍ فُتحت للشعر منذ عصر الجاهلية، نفخ فيه الروح، وأمدّه بمدد جديد مختلفٍ عما

كان قبل؛ أعني فنَّ المحاماة ونقائض القول، ولعل ما بلغنا منه أقلُّ مما قيل في حقيقة الأمر.

ومع أنَّ الرسول نهى عن رواية بعض أشعار وردتْ في رثاء المشركين وقت الغزوات لما لها من الأثر في نفوس المسلمين؛ فإنهم رَوَوْا منها بعد ذلك حين وضعتْ الحرب أوزارها واستتب الأمر للمسلمين في الجزيرة.

ويُلحق به تحريم الهجاء المقذع، والسبّ الصريح؛ والغزل الفاحش، والتشبيب بحرائر المؤمنين؛ لأن الإسلام يحرمه في القول، وتلك قاعدة: ما حرَّمه الإسلام في القول، حرَّمه في الشعر؛ ولكن لا بدّ من ضابط يضبط ذلك: "مع مراعاة الفنّ"؛ فقد استمع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقدّمةٍ غزليَّة للاميّة كعب، وأجازه عليها؛ مراعيًا قضيَّة الفنّية، إذ عملُ الشعراء في ذلك الوقت على الاستفتاح بنحو تلك المقدّمات التي لا تمتُّ إلى الحقيقة بصلة؛ وهذا ضابط مهمّ ضلَّ فيه كثيرٌ من القوم، ومراعاته والانتباه له مما يجلِّي النظرة الصحيحة من الإسلام للشعر؛ وإلا لو طبقنا خلافها لما قبلنا في الشعر تشبيهًا ولا مجازا؛ وزعمناه من باب الكذب؛ وما كان الأمر كذلك؛ فهذه أشعار الصحابة تنضح بالمبالغة والتشبيه والأخيلة، وكانت تُتناشَد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ودولته.

الرسول صلى الله عليه وسلم عربيّ، بل هو أفصح العرب صلواتُ الله عليه، ونفسه العربيَّة تلك -شأنه شأن كل عربيّ عارفٍ بصنوف القول- تميل إلى البليغ منه، وترتاح إلى منضوده وجميله، ولذلك ربما كان يستنشد من أقوال الشعراء المجيدين ويستزيد مما قالوا، ويعلن ذلك، ومن هؤلاء من كان عدوًّا لله ورسوله، كصنيعه في أمر أمية بن أبي الصلت وشعرِه، وتلك غاية الإنصاف والعدل.

ويدلُّنا هذا الصنيع النبويّ في شأن أميَّة بن أبي الصَّلت على اعتبار مسألة الفنِّيَّة، وأنها مما يباح، بل مما يُستحسن في الإسلام، ويُندَبُ إليه؛ ليس للترويح عن النفس فحسب، بل لبناء النفس نفسها على أسس من الذوق والبيان والفَهْم،

ورعايةً لآداب العرب؛ إذ بفهمها يُفهم الدين، ويُحمل كلامه العربيّ على أوجهه، أما الاستعجام والبعد عن فصيح الكلام والشعر فإنه يجعل الفهم مستغلقًا، غيرَ مدركٍ تصاريف الكلام العربيّ الذي به جاء الوحي في القرآن والسنّة، وتلك آفةٌ كبرى ضلَّ بسببها قومٌ، أوتوا من قِبَل العجمة، بتزهيدهم في تعلُّم لغة العرب، وعلى رأسها الشعر؛ ظنًّا منهم أنهم على الحقِّ من سبيل الإسلام، وقد أخطؤوا في ذلك النُّجعة من غير شك.

لقد نهى الإسلامُ عن أن يكون الشعرُ مذهبًا في الحياة، وأن يُدعى الناسُ إلى ذلك، بأن يشغل المرء باله وأحواله به حتى يمتلئ منه، وإنما الإنسان لم يخلق لذلك في الأساس، بل خُلق لعبادة الله جلَّ وعزّ، فإذا أخذ الشعر منه حيّزًا ما – حتى لو كبُر كما كان شعراء الصحابة– ولم يطغَ على غاية خَلقه، فلا بأسَ به، بل يُستحَبُّ، بل قد يجبُ كما مرّ.

إنه يمكننا استعارة مصطلحات الأصوليين فنقول: إن الشعر في الإسلام على أربعة أحكام: محرَّمٌ: كالذي يُضعف الإسلام، أو يؤذي الله ورسوله، أو يطعن في أعراض المؤمنين ويتناول النساء الحرائر المؤمنات. وجائزٌ: وهو سائر الكلام، وأكثرُه وسواده. ومستحبٌّ وهو الذي يسمو بالنفس البشريَّة، سُموًّا فنّيًّا أو مباشرًا إذ يحثُّ على الحكمة والفضائل وطاعة الله عز وجل وبذل الخير، وينهى عن نقيض ذلك. وواجبٌ: وهو الذي يتعيَّن فيه الدفاع عن الحقّ حين يُفتقد من يقدر على ذلك، وحين يأمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه به. تلك خلاصة نظرة الإسلام إلى الشعر.

المصَادرُ والمَراجِعُ

- الأدب في عصر النبوة والراشدين، للدكتور صلاح الدين الهادي (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣/١٤٠٧هـ).
- الإسلام والشعر، للدكتور سامي مكي العاني (عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٦م).
- اصطناع المعروف، لابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي (تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط١/١٤٢٢هـ).
- إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السَبْتي (تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١/١٤١٩ هـ).
- بيان موقف السنة الغرّاء من الشعر والشعراء، للدكتور عبد الرحمن رمضان الأزهري (مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد ٤٠، السنة ٢٠٢١م).
- تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان (مؤسسة هنداوي للثقافة والنشر، القاهرة، ٢٠٢١م).
- تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات (دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م).
- تهذيب الآثار، للطبري، محمد بن جرير بن يزيد (تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت).
- الجامع في تأويل القرآن، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد (تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ).

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، أبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/ ١٩٦٤م).
- جزء أحاديث الشعر، لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الجمَّاعيلي الدمشقي الحنبلي (تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية، عمَّان، ط١/١٤١٠هـ).
- الجمع بين الصحيحين، لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (اعتنى به حمد بن محمد الغماس، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/ ١٤١٩هـ).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيّئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (مكتبة المعارف، الرياض، ط١/ ١٤١٢هـ).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني (مكتبة المعارف، الرياض، ط١/١٤١٢-١٤٢٥هـ.).
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١/١٤٣٠هـ).
- السيرة النبوية، لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢/ ١٣٧٥هـ).
- شرح سنن أبي داود، لبدر الدين العيني، أبي محمد محمود بن أحمد الحنفي (تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١/١٤٢٠هـ).
- شرح معاني الآثار، للطحاوي، أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري (حققه وقدم له محمد زهدي النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، ط١/١٤١٤هـ).

- شعر أهل الحديث، بقلم عبد العزيز القارئ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ١٢، ١٠٧/٥.
- الشعر العربي بين الجمود والتطور، لمحمد عبد العزيز الكفراوي (نهضة مصر، القاهرة، د. ت).
- الشعر العربي في القرن الأول الهجري (دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٨م).
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ١٣١١هـ).
- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
- ضعيف سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١/١٤٢٣هـ).
- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بجدة، د.ت).
- العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف، القاهرة، ط٧).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر، ط١/١٣٨٠-١٣٩٠هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ).
- المراثي النبوية في أشعار الصحابة: توثيق ودراسة، لمحمد شمس عُقاب (مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١/١٤٣٥هـ).

- المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/١٤٢٠هـ).
- المعجم الكبير، للطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١/٢٠١٠).
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي (القاهرة، ١٩٦٠م).
- الموازنة بين الشعراء، للدكتور زكي مبارك (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م).
- الموشح، للمرزباني، للمرزباني، محمد بن عمران بن موسى (تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت).
- الموضوعات، لابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١/١٣٨٦هـ).

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	صـ
١-	مدخل :.....	١٥٢٤
٢-	نماذجُ على الدَّعْوى :.....	١٥٢٨
٣-	الآياتُ القُرْآنيَّة :.....	١٥٣٦
٤-	الأحَادِيثُ النَّبَوِيَّة :.....	١٥٤٢
٥-	النهيُ عن رِواية بعض الشِّعْر :.....	١٥٤٨
٦-	أحاديثُ ضَعِيفَة :.....	١٥٥٠
٧-	الآثَارُ المُجِيزةُ للشِّعر :.....	١٥٥٣
٨-	الخاتمة والنتائج :.....	١٥٥٨
٩-	المصادر والمراجع :.....	١٥٦٢
١٠-	المحتويات :.....	١٥٦٦